مجالس الاقتراء فى العصر النبوى

وعلاقتها بالتربية اللغوية للصحابة رضوان الله عليهم

أ.د/ خالد فهمى

الأستاذ بكلية الاداب – جامعة المنوفية

(١)الاقتراء :مفهومه و أشكاله

الاقتراء فى اللغة: هو عين القراءة ، فقد روى عن سيبويه أن قرأ، اقترأ بمعنى واحد ، كما جاء فى لسان العرب (قرأ).

أما فى اصطلاح علوم القرآن ، و القراءات فهو إقراء القراء بعضهم بعضا؛ بمعنى أن يجلس عدد يقرءون ،وبينهم من يصحح لهم قراءتهم.

وهو مصطلح لم أجد من ذكره ، أو عرف به ممن صنعوا معجمات لمصطلحات القراءات من أمثال: محمد المختار ولد إباه ، والدكتور عبدالوالى المسئول ، و الدكتور إبراهيم سعيد الدوسرى ، أحمد محمود عبد السميع الحفيان.

وقد جاء هذا اللفظ فى حديث أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى سنة ٢٢٤هـ فى كتابه : فضائل القرآن (تحقيق مروان العطية و آخرين ، دار ابن كثير ، دمشق ١٤٢٠هـ =١٩٩٩م ص ٦٨) أن سهل بن سعد الأنصارى ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ونحن **نقترئ** ، يقرئ بعضنا بعضا ، فقال الحمد لله ، كتاب الله عز وجل واحد فيه الأحمر و الأسود ، اقرءوا ، اقرءوا ، اقرءوا".

و ربما اقترب من هذا اللفظ لفظ آخر هو : التدارس ، الذى ورد فى أحاديث ترغب فيه ، و تمتدح فاعليه ، ففى الحديث عن عقبة بن عامر ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم ونحن فى المسجد **نتدارس** القرآن ، فقال : تعلموا كتاب الله عز و جل ".

ومثل ذلك ألفاظ : تعلم القرآن الكريم ، و مجالسته.

ومن هنا يتضح لنا أن هذه الأربعة الألفاظ هى أكثر الألفاظ العربية دورانا فى باب العناية بقراءة القرآن ، وتعلمها ، وإتقان قوانينها.

ويظهر من استقراء صور الإقراء فى العصر النبوى حصرها فى الصور الأربعة التالية:

الأولى – إقراء النبى صلى الله عليه و سلم الصحابة القرآن الكريم ، بالتعليم المباشر.

الثانية – شهود الصحابة عرض النبى صلى الله عليه و سلم القرآن الكريم على جبريل عليه السلام.

الثالثة– سماع النبى صلى الله عليه و سلم القرآن الكريم من الصحابة ، فيما يشبه القراءة عليه صلى الله عليه و سلم.

الأخيرة– جلوس الصحابة فى مجالس و حلقات ، يقرئ الأعلم بالقرآن الكريم غيره ، و يصوب له قراءته.

وهذه الصورة الأخيرة ظاهرة فى الحديثين المذكورين فى بيان مفهوم الإقتراء هنا و فى كتب فضائل القرآن الكريم ، وكتب علوم القرآن الكريم ، و المدونات الحديثية أحاديث أخرى كثيرة تثبت صور الإقراء المختلفة المذكورة.

فمن أحاديث الصورة الأخيرة أيضا ما يروى عن الأعمش من أنه قال : مر أعرابى بعبدالله بن مسعود **وهو يقرئ قوما القرآن** ، أو قال وعنده قوم يتعلمون القرآن"

ونحن نلح على هذه الصورة ؛لأنها هى الصورة التى استمرت بعد عصر النبوة ، فى عهد الراشدين ومن بعدهم ، يقول سليمان بن يسار إن عمر بن الخطاب خرج من خوخته ؛(أى : حجرته) فأتى على قوم يقرءون ، فلما رأوا عمر أنصتوا ، فقال

كنتم تراجعون ، فقالوا : كنا نقرئ بعضنا بعضا ، فقال : اقرءوا و لا تلحنوا " (الجامع لعلوم القرآن لابن وهب ، تحقيق ميكلوش مورانى ، دار الغرب الإسلامى سنة ٢٠٠٣م (٤١/٣).

(٢) دور مجالس القرآن فى العصر النبوى فى التربية اللغوية للصحابة رضوان الله عليهم.

مفهوم التربية اللغوية مفهوم حديث نسبيا يشتبك مع علم اللغة التطبيقى فى مجالين هما : اكتساب اللغة ، و تعلمها ، وهو يكاد يكون فرعا من فروع اللغة التعليمى .

و تحليل مجالس الإقتراء فى العصر النبوى فى ضوء مفهوم التربية اللغوية يمكن أن يكشف عن منهج متمايز ، ودور بارز اضطلعت به مجالس الإقتراء فى تربية الصحابة رضى الله عنهم لغويا.

و يكاد يدور مفهوم التربية اللغوية عند المنشغلين به حول تنمية قدرة الإنسان فى الأداء اللغوى الصحيح ، نطقا ، وتأليفا للكلام ، وفق قوانين صحة الكلام صوتيا و صرفيا و تركيبا.

و فيما يلى يحاول هذا المقال رصد العلاقة بين مجالس الإقتراء فى العصر النبوى و التربية اللغوية للصحابة رضى الله عنهم ، وما تصنعه من ترقية الأداء اللغوى ، بسبب ما تنتهجه إجراءات التربية اللغوية ، ووسائلها .

وتتخلص هذه الأسس التى وفرتها هذه المجالس القرآنية فيما يلى:

أولا– التهيئة النفسية.

ثانيا– تبين الحروف ، وتفصيل النطق بها فى قراءة النبى صلى الله عليه و سلم .

ثالثا– رفع الصوت بالقراءة ، و طلب تحسينه.

رابعا– ترديد النص المقروء أكثر من مرة ، مع تعاهد القرآن الكريم.

خامسا– تصحيح خطأ القارئ ، ورده إلى الصواب.

سادسا– استصحاب النظر فى المصحف المكتوب فى أثناء القراءة .

و فيما يلى بيان هذه الأسس الستة التى مارسها القراء فى حلقات الإقتراء فى العصر النوبى مما كان من شأنها تنمية الأداء اللغوى للصحابة رضوان الله عليهم.

١/٢ التهيئة النفسية

من المقرر فى أصول التربية ضرورة تهيئة البيئة النفسية للمتعلمين حتى تثمر العملية التعليمية التربوية ، و قد جاء عن النبى صلى الله عليه و سلم مجموعة من الأحاديث تمثل أصلا جامعا للتهيئة النفسية تبعث على الإقبال على برامج تلقى القرآن الكريم ، وحسن أدائه و قراءته من مثل:

أ– السكينة و الرحمة نتيجة للارتباط بمجالس الإقتراء ، فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة و حفت بهم الملائكة ، وذكرهم الله فى من عنده" (أخلاق حملة القرآن ، للأجرى ص ٥٠ حديث ٢١).

ب–رصد الأجر و الثواب و علو المنزلة للماهر بالقراءة ، فقد أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام فى فضائل القرآن (ص٤٩) حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال

رسول الله صلى الله عليه و سلم " إن الذى يقرأ القرآن وهو به ماهر مع السفرة الكرام البررة".

ج- تشجيع المبتدئين و الضعاف و المتأخرين فى التحصيل و عدم تيئيسهم ، فقد أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام فى فضائله (ص٤٩)عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و الذى يقرأ القرآن وهو يشتد عليه فله أجران"

د- مضاعفة الثواب على التلاوة ، أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام فى فضائل القرآن (ص٥٠) من حديث ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:" إن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما إنى لا أقول ألم حرف و لكن ألف عشر ، لام عشر ، ميم عشر " ومن هنا فإن تأمل هذه العوامل تدلنا على مدى ما يحرص الإسلام على توافره دفعا للنفوس على التقدم نحو قراءة الذكر الحكيم ، الذى يحقق أصلا جامعا من أصول التربية اللغوية التى تهيأت للصحابة رضوان الله عليهم.

٢/٢ تبين الحروف ، وتفصيل النطق بها فى إقراء النبى صلى الله عليه و سلم الصحابة رضى الله عنهم

جاء فى وصف قراءة النبى صلى الله عليه و سلم أنه كان يقرأ بتؤدة وهدوء، ويحرص فى قراءته على تبيين الحروف ، وتفصيل النطق بها ، وهو أمر مهم جدا فى برامج تعليم اللغة ، وهو ما كان له الأثر البالغ فى ترقية اللغوية للصحابة و فيما يلى ما يثبت ذلك :

أ- أخرج أبو عبيد فى فضائل القرآن (ص ١٥٦) عن أم سلمة أنها نعت قراءة رسول الله صلى الله عليه و سلم قراءة مفسرة حرفا حرفا"

ب- و أخرج أيضا (ص ١٥٦) عنها رضى الله عنها أنها وصفت قراءته صلى الله عليه و سلم بأنه كان يقطع قراءته ؛ أى يفصلها و يبين حروفها ، و يقف على رأس كل آية.

ثالثا- رفع الصوت بالقراءة ، وطلب تحسين الصوت بها

ومما استقر أيضا فى برامج علم اللغة التعليمى الأثر الإيجابى للقراءة بالصوت المرتفع ، فمما تقرره ماريان وايتهيد فى كتابها عن التنمية اللغوية أن القراءة ذات المغزى بالصوت العالى لها أثر إيجابى فعال فى تنمية اللغة و التواصل بين المتعلمين ، وهو الأمر الذى كان يحرص عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم مع أصحابه ، فمما جاء من وصف قراءة النبى صلى الله عليه و سلم أن عبد الله بن المغفل قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الفتح على ناقته يسير وهو يقرأ ... ثم قرأ معاوية قراءة لينة و رجع " و الترجيع تحسين الصوت بالتلاوة.

ومن ذلك أمره صلى الله عليه و سلم للصحابة بقول:" زينوا أصواتكم بالقرآن"

وهذان الحديثان مثالان على عناية المنهج النبوى للقراءة بالصوت العالى الحريص على التزيين ، وهو من العوامل الفاعلة فى التنمية اللغوية للأفراد.

رابعا- ترديد النص المقروء أكثر من مرة

مما جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وتعليمه الصحابة رضى الله عنهم الحرص على ترديد النص المقروء أكثر من مرة صحيح أن ذلك كان بدافع الإعانة على التدبر المفضية إلى الخشية ، و التأثر بالمعنى المتضمن فى الآيات ، لكنه يؤدى فى الوقت نفسه إلى استقامة طرائق النطق ، وبرامج علم اللغة التعليمى ، فى المختبرات و المعامل اللغوية تحرص فى بعض مستويات تعليم اللغة على الترديد للنص المقروء طلبا لضمان صحة أدائه ، ومما يدل على ذلك:

أ-ما أخرجه أبو عبيد فى الفضائل (ص١٤٦) :" أن ابن مسعود صلى ليلة ، قال : فذكروا ذلك ، فقال بعضهم : هذا مقام صاحبكم منذ الليلة يردد آية حتى أصبح .قال ابن عون: بلغنى أن الآية : ﴿رب زدنى علما ﴾[سورة طه ١١٤]

ب- ومثل ذلك التعبير وارد عن كثير من الصحابة من مثل : الفضائل (١٤٥) فلم يزل تميم الدارى **يرددها** حتى أصبح . وعن أسماء بنت أبى بكر أنها ذهبت إلى السوق فى حاجة ثم رجعت وهى **تكرر**﴿ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾[سورة الطور٢٧] كما تواتر الأمر بتعاهد القرآن الكريم ؛ أى مداومة الاتصال به ، وحفظه ، وهما أمران فاعلان فاعلية إيجابية فى التربية اللغوية ، بما هو المثل الأعلى .

خامسا- تصحيح القارئ ، والأمر برده إلى الصواب.

إن فكرة الإقراء ، و السماع قائمة فى الأساس على إقامة المثال الحى على القراءة الصحيحة ، وهو الأمر المفهوم من عبارة " أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ينطق بها كثير من الصحابة عند الاختلاف معهم.

و ليس يعقل أن يستمع رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا الصحابة العلماء إلى من يقرأ فيخطئ من دون تدخلهم برده إلى الصواب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث ليبلغ ، و ليس من شأنه و لا سمته أن يسكت على الخطأ أو باطل.

ومن أجل ذلك تواتر الأمر بتجنب اللحن ، أو الخطأ فى القراءة ، فى مثل :

أ- أخرج ابن وهب فى الجامع ٤١/٣ حديث ٧٣ عن عمر أنه قال " اقرءوا ، و لا تلحنوا"

ب-و أخرج كذلك ٤٢/٣ حديث ٧٨ عن ابن عياش عن سعيد بن عبد الله القرشى عن أبى الزناد أن رجلا قرأ عند رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فلحن ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" **أرشدوا أخاكم**"

ومن أجل ذلك لم يكره العلماء نقط المصحف ، و لا شكله ليعينوا على القراءة السليمة المنضبطة ، فمما جاء فى ذلك:

أ- ما أخرجه وهب فى الجامع ٤١/٣ حديث ٧٤ عن نافع قال : سألت ربيعة بن عبد الرحمن عن **شكل** القرآن فى المصاحف ، فقال: لا بأس بذلك .

ب- و أخرج كذلك ٤١/٣ حديث ٧٥ عن الليث بن سعد قال : لا أرى بأسا أن ينقط المصحف.

سادسا – استصحاب النظر فى المصحف المكتوب مع القراءة

ومما استقر كذلك أن استثمار أكثر من حاسة فى عملية التعلم مثمر بدرجة أعلى ، مقارنة باستعمال حاسة واحدة.

ومن هنا فإننا قد نفهم من الأمر بالنظر فى المصحف فى أثناء التلاوة ما يسرع بتنمية القدرات اللغوية و القرائية لدى من يفعلون ذلك ، و قد أثبت على النفس التعلم أن استصحاب الصورة ، أو الرموز الحرفية معين جدا فى عمليات تحسين التعليم ، و تحسين القراءة.

و قد جاء فى السنة النبوية نصوص كثيرة تحض على النظر فى المصحف فى أثناء قراءة الذكر الحكيم ، مما يفهم منه الأثر الإيجابى للتربية اللغوية التى حصلها الصحابة الكرام ، من مثل :

أ-أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام فى الفضائل (ص١٠٤) عن زر بن حبيش قال : قال عبدالله (بن مسعود) :" أديموا النظر فى المصحف"

ب-وعنه فى الفضائل(١٠٥) عن عمر أنه كان إذا دخل بيته **نشر المصحف فقرأ فيه.**

ج- وعنه فى الفضائل (١٠٥) عن ابن عمر أنه قال : إذا رجع أحدكم من سوقه **فلينشر المصحف ، فليقرأ.**

د- و فيه (١٠٥) عن ابن مسعود أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه **نشروا المصحف فقرءوا**

من مجموع ما تقدم يتضح لنا أن السيرة النبوية المطهرة تمتلك رصيدا ضخما صالحا للفحص ، و التحليل ، وخدمة الحركة المعرفية و التربوية المعاصرة فى جوانبها المختلفة.

و قد ظهر لنا كيف أن المنهج النبوى حقق للصحابة الارتقاء اللغوى عن طريق برامج تفصيلية ، وثقها وأكدها المعاصرون فى مجال التربية اللغوية.